الدكتورة: خيرة بورنان

السنة الثانية: قسم الفلسفة

محاضرات في مقياس: فلسفة التأويل

في العصور الوسطى

المحاضرة رقم: 02

فلسفة التأويل
(مدخل مفاهيمي)

ثانيا: الهرمنيوطيقا تطورها الدلالي في المجال التداولي الغربي

يذكر ريتشارد بالمر Richard E. Palmer مؤلف كتاب:Hermeneutics(1969) ستة مفاهيم أساسية لمفهوم مصطلح الهرمينيوطيقا، ، تشكل مراحل هامة من مراحل تطورها. متخذا نطاقا زمنيا حدده بتاريخ 1654 وصولا إلى أيامنا هذه (ويقصد ما انتهى إليه مفهوم الهرمينوطيقا عند بول ريكور). وهذه المفاهيم (المراحل) نوردها كما عنده على النحو الآتي:

- نظرية تفسير الكتاب المقدس. (Theory of biblical exegeses)
- ميثودولوجيا فقه اللغة العام. (General philological methodology)
- علم كل فهمٍ لغوي. (Science of all linguistics Understanding)
- الأساس المنهجي للعلوم الروحية (The methodological foundation of Geistewssemschaften)
- فينومينولوجيا الوجود والفهم الوجودي. (Phenomenlogy of existence and of existential Understanding
- أنساق التأويل. (The systems of interpretation)[1]

وسنتعرض إلى أهم المحطات، التي شكلت نقاط تمفصل في دلالة الهيرمينوطيقا، من ذلك:

_1

الدكتورة: خيرة بورنان السنة الثانية: قسم الفلسفة

محاضرات في مقياس: فلسفة التأويل
في العصور الوسطى

(1) الهرمنيوطيقا بوصفها نظرية تفسير الكتاب المقدس

تطلق كلمة الهرمينوطيقا على الدراسات اللاَّهوتية الَّتي تُعنى بتأويل النُّصوص الدينية بطريقة خيالية ورمزية، ابتعادا عن المعنى الحرفي المباشر، يقول غادامير في الصدد « تدل الهرمينوطيقا في علم اللاهوت(الثيولوجيا) على فن تأويل وترجمة الكتاب المقدس (الأسفار المقدسة) بدقة، فهو في الواقع مشروع قديم أنشأه وأداره آباء الكنيسة بوعي منهجي دقيق»[2]. ويعد هذا التعريف هو أقدم التعريفات، وثمة ما يبرر ذلك من الوجهة التاريخية؛ لأن اللفظة إنما دخلت في الاستعمال الحديث عندما ألحت الحاجة إلى مبحث جديد يقدم القواعد اللازمة للتفسير الصحيح للكتاب المقدس. ويؤكد الأمر نفسه المفكر المصري نصر حامد أبو يد، ويضيف موضحا الفرق الهيرمينوطيقا والتفسير: « مصطلح هيرمينوطيقا مصطلح قديم جدا بدأ استخدامه في دوائر الدراسات اللاهوتية ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني(الكتاب المقدس). والهيرمينوطيقا بهذا المعنى تختلف عن التفسير الذي يشير إليه المصطلح Exegesis على اعتبار أن هذا الأخير يشير إلى التفسير نفسه في تفاصيله التطبيقية بينما يشير المصطلح الأول إلى نظرية التفسير»[3]. فإذا كان "التفسير" وقفًا على الشرح أو التعليق الفعلي، فإن "الهرمنيوطيقا" هي قواعد هذا التفسير أو مناهجه أو النظرية التي تحكمه.

(2) الهرمنيوطيقا بوصفها المنهاج الفقهي اللغوي (الفيلولوجي)

إن تصور الهرمنيوطيقا بوصفها إنجيلية تحديدًا قد تحول تدريجيًّا إلى الهرمنيوطيقا بوصفها القواعد العامة للتفسير الفيلولوجي (الفقهي اللغوي) شاملةً الكتاب المقدس كموضوع واحد بين موضوعات أخرى يمكن أن تُظلها هذه القواعد. وأصبح ينظر إلى مفهوم الهرمنيوطيقا على أنها مجموع قواعد مترابطة نسقيًّا، أي بوصفها علمًا يصف الشروط اللازمة للفهم في أي حوار. وهكذا حل مصطلح «هرمنيوطيقا

_2

_3

الكتاب المقدس» محل «الهرمنيوطيقا» في الإشارة إلى نظرية تفسير النص المقدس، أما «الهرمنيوطيقا» حين تُقال مطلقةً غير مقيدة فكانت مرادفة تقريبًا للمنهج الفقهي اللغوي.

(3) الهرمنيوطيقا العامة

حدث تطور في مفهوم الهرمينوطيقا في العصر الحديث، مع الألماني شلايرماخر ***Schleiermacher*** (1768–1834)، إذ أخذت معنى النظرية الشاملة والمعيارية للتأويل والتي تقوم باقتراح قواعد شاملة، وصالحة لكل العلوم التأويلية أو ما بات يعرف بـ« الهرمنيوطيقا العامة»[4]. ومنذ ألف كتابه (Hermeneutic) تحول التأويل من كونه أداة تفسير للنص الديني إلى كونه أحد الأدوات الجديدة في نطاق البحث الفلسفي واللّغوي، موسعا بذلك دائرة الهيرمينوطيقا، لتنفتح على فضاءات أخرى، مُحدثا بذلك (والوصف لبول ريكور) ثورة كوبرنيكية أُولى بين منحى الهرمينوطيقا في نسختها اللاَّهوتية، والهرمينوطيقا الجديدة في شكلها الفلسفي، مقدما إيّاها بأنها «علم» الفهم أو « فن» الفهم وشروطه في تحليل النُّصوص، ويقول شلاير ماخر معرفا الهيرمينوطيقا بأنها« فن امتلاك كلّ الشروط الضرورية للفهم»[5]. لأول مرة ـ إذن ـ يتم تعريف الهرمنيوطيقا على أنها دراسة الفهم ذاته. إنَّ هذا المجهود استحق لأجله شلايرماخر أن يكون أبا للهرمينوطيقا الحديثة.

(4) الهرمنيوطيقا كمنهج للعلوم الإنسانية

وسع الألماني فيلهلم دلتاي W. Dilthey (1833 ـ 1911) مجال الهرمينوطيقا ـ على حد تعبير غادامير ـ إلى أبعاد أرغانون لعلوم الفكر، عندما « طَوَّر بوعي التأويلية الرومانسية ووسعها إلى منهج تاريخي، وفي الحقيقة وسعها إلى إبستمولوجيا للعلوم الإنسانية»[(6)]، ومعنى هذا أن دلتاي بمسحة رومانسية ـ كما جاء في القول ـ واصل فتح أفق الهرمينوطيقا على عوالم مجهولة بانعطاف استراتيجي للهرمينوطيقا من فرع ملحق بالفيلولوجيا إلى الإبستمولوجيا، يرى في الهرمينوطيقا جذر ما يمكن أن نطلق عليه منهج، أو أرغانون علوم الروح. لقد أصبحت الهيرمينوطيقا منهجا للعلوم الإنسانية.

4_

5_

6_

محاضرات في مقياس: فلسفة التأويل
في العصور الوسطى

(5) الهرمنيوطيقا الفلسفية

أصبحت الهيرمينوطيقا مع هيدغر (1889–1976) شيئا آخر مختلفا تماما في القرن العشرين، ويلخص جان غروندان هذا التحول الفلسفي للتأويلية ، وقد صار شكل فلسفة خاصا قائما بذاته، في قوله: « لقد صارت فلسفة، بل مصطلحا شائع الاستعمال. مع هيدغر غيرت التأويلية موضوعها، ورسالتها ووضعيتها. لقد غيّرت موضوعها أولا، إذ لم تعد تناول النصوص أو العلوم التفسيرية، بل تتناول الوجود بذاته. بإمكاننا إذا التحدث عن انعطاف وجودي في التأويلية. كما غيّرت رسالتها أيضا، إذ لم تعد التأويليَّة تفهم بوصفها طريقة تقنية أو معيارية أو منهجية. لقد اتخذت وظيفة أكثر ظاهرتية، أكثر تقويضية بالمعنى المحرر للكلمة(Terme)، بالمعنى الذي ينبثق من تغييرها وضعيتها: لم تعد تأملا يتناول التفسير فقط (أو مناهجه)، بل إنها صارت أيضا استكمالا لسيرورة تفسير تمتزج بالفلسفة نفسها»[7]. لقد أقام هيدغر هرمنيوطيقا للوجود الإنساني تتصل بالأبعاد الانطولوجية للفهم ، من خلال وسيط هو اللغة، فاللغة ليست مجرد أداة يملكها الإنسان إلى جانب غيرها من الأدوات، و إنما هي ما يضمن إمكان ظهور الوجود و انكشاف بعد أن كان مستترا.

وقد سار على خطى هيدغر، تلميذه الفيلسوف هانز جورج غادامير، الذي رفض من خلال كتابه: الحقيقة والمنهج، أن تكون التأويلية منهجا، متوجها رأسا إلى مشكلة "الفهم"، لا في مستواه الإبستمولوجي بل في مستواه الأنطولوجي. فالفهم ليس طريقة في المعرفة، بل هو أكثر من ذلك طريقة ونمط وجود الإنسان (الدزاين) نفسه[8]. وبهذا المعنى بالذات استعمل غادامير مصطلح التأويلية، أضحت بموجبه فلسفة في امكانات الفهم ذاته، تنطلق من مفاهيم ثلاثة أساسية هي: "التفسير"، "الفهم" ، "الحوار". هذه المفاهيم ترتبط ارتباطا جدليا؛ فالتفسير لا يكون ممكنا إلا من خلال الفهم والحوار، لكن الفهم بدوره لا يكون فهما خاصا من دون الحوار، فالفهم يتحقق من خلال حوار تنفتح فيه الذات على الموضوع أو الأنا على الآخر.

_7

_8